سِلْسِلَةُ : وُصُولِ التَّهَانِي بِتَفْرِيغِ أشْرِطَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (7)

كَلِمَةٌ

فِي الإِخْلَاصِ وَدَوَامِ المُرَاقَبَةِ وَالتَّعَلُّقِ بِاللّٰهِ تَعَالَى

للشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الله -

المُدرِّس في الجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

ألقاها بعد عِشاء الاثنين

(19/جمادى الأولى/1439هـ)

في مسجد بدري العتيبي - رحمه الله -

بالمدينة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، رحمته – سبحانه وتعالى – للعالمين ، وحجته على الخلق أجمعين ، صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه ، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فإنّ الله – جل وعلا – قد أمرنا جميعاً بأن نعبده – سبحانه وتعالى – ، مخلصين له في عباداتنا ، وقال – جل وعلا – : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:5] .

وقال – جل وعلا – : ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر:14] .

وقال – جل وعلا – : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف :110]

ويقول عليه الصلاة والسلام : "**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وإنما لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**" [1] .

فالواجب على المسلم أن يراقب الله – جل وعلا – في كل ما يقول ويفعل ، فلا يقصدُ بعباداته كلها إلا الله – جل وعلا – ، ولا يتبع أحداً من البشر اتباعاً في كل ما يقول مُصدّقاً له ، وفي كل ما يأمر وينهى ممتثلاً له إلا الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، فمن راعى هذا فقد أفلح وأنجح .

والعبد إذا راقب الله – سبحانه وتعالى – في أقواله وأعماله وفّقه الله ، وسدّده ، وإذا راقب الناس وكَلَه إليهم ، وخذله – سبحانه وتعالى – .

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران :160] .

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران :126]، ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الروم:5] ، – سبحانه وتعالى – .

فالعبدُ إذا أخلص لربه أقواله وأعماله واتبع نبيه – صلوات الله وسلامه عليه – ممتثلاً أوامره ، ومجتنباً

[1] رواه البخاري في "صحيحه (برقم 1) ، ومسلم في "صحيحه (برقم1907) ، وعند مسلم بلفظ : (إنما الأعمال بالنية) .

نواهيه فقد أفلح وأنجح – كما قلنا –.

ولهذا : فيجبُ علينا جميعاً أن نراقب الله في أقوالنا وأعمالنا ، وأن نَزِنها بميزان الاتباع لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، قولاً وفعلاً .

وإنما هي أعمالٌ بِنِيَّتِها . . . . . . ولم يَفُتْ رَبَّنَا قولٌ ولا عملُ

وليعلم العبد أنه إذا راعى هذا الأصل العظيم أراح واستراح ، أراح غيره ، واستراح هو في نفسه ؛ وذلك لأنه إنما يطلب الثواب ويرجوه من الله –جل وعلا– ، وإنما يخافُ من الله –جل وعلا –.

فمن استصحب الخوف والرجاء أصلح أعماله وأحواله ، فالخوف مما عند الله ، والرجاء فيما عند الله ، وقَطَعَ قلبه عن التعلق بالخلق ، فمن قَطَعَ قلبه عن التعلق بالخلق ، وتعلَّق بالله أعزَّه الله – جل وعلا – ؛ وذلك لأنه حقّق التوحيد حقاً ، بعلمه أنه لا نافعَ إلا الله ، ولا ضارَ إلا الله ، ولا رافعَ إلا الله ، ولا خافضَ إلا الله ، ولا معزَّ إلا الله ، ولا مُذِلَّ إلا الله .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:26] .

فالواجب علينا – معشر الأحبة – أن نراقب الله في أقوالنا وأعمالنا ، فإن من راقب الله ملتمساً رضاه " **رضي الله عنه ، وأرضى عنه الناس** " ، وانظروا إلى قوله : " **وأرضى** " ، بهمزة المضارعة ، دليلٌ على أنه قد لا يرضى عنك بعض الناس في وقت من الأوقات ، لا يهمك ما كنت سائراً قاصداً رضا الله في كل ما تقول وتفعل ، فأبشر بأن العاقبة لك ، " **رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله سَخِطَ الله عليه ، وأسخط عليه الناس** " [1] .

---

[1] رواه ابن حبان " الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان " (510/1) ، وصححه الألباني في " صحيح الترغيب والترغيب" برقم (2250) .

فالناس قد يرضون عنك إن جاريتهم على ما يريدون ، لكن العاقبة هنا خزيٌ وندامة في الدنيا تَجَرَّعُها قبل الآخرة ، أما في الدنيا فيَقْلِبُ الله – جل وعلا – عليك الأمور ، لأنه هو الذي يُقلِّب قلوب العباد ، فقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه – سبحانه وتعالى – ، ما شاء منها أقامه ، وما شاء منها أزاغه – سبحانه وتعالى –، ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء :23] .

فَيقْلِب الله هذه القلوب التي رضيت عنك عاجلاً ؛ وذلك بتبصيرها بالباطل الذي ارتكبته لترضيها ، وإن كان فيه سخط الله – جل وعلا – فيَقْلِب الله هذه القلوب ، ويُنوِّر البصائر ، فتبصر مداهنتك ، فتنقلبُ ذامّةً لك ، وإذا كان الأمر كذلك فليعتبر العبد ، وليعلم أنه إنما كُلِّف بالإخلاص له – سبحانه وتعالى– ، وتجريد المتابعة لرسوله – صلى الله عليه وسلم – ، فإذا عمل الأعمال فعليه ألا ينظر إلا إلى الخالق – جل وعلا – ، لأنه بأعماله يرجو ثوابه – سبحانه –، ويخشى عقابه .

﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا** ﴾ [الكهف :110] .

وهذا العمل الصالح هو الدين القيِّم الذي قال فيه – جل وعلا – : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة :5] .

فعلينا – معاشر الأحبة – جميعاً أن نُخلص لله في أقوالنا وأفعالنا ، وأن نراقب أنفسنا ، ونفتِّش عن قلوبنا ، هل دخلها شيء من حظ الرياء والسمعة ؟

فإن " **مَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ** " [1] .

---

[1] رواه البخاري في " صحيحه " برقم (6499) بلفظ : " مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ " ، ومسلم في " صحيحه " (برقم 2986) بلفظ : " مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ " .

و " **من عمل عملاً أشرك مع الله فيه غيره فهو للذي أشرك ، وهو منه** – سبحانه وتعالى – **بريء** " [1] .

والله – جل وعلا – ورسوله أحق أن نرضيه ، إن كنا مؤمنين ، وإذا وضع العبد هذا نصب عينيه أراح واستراح ، فيستوي في حقه المادح والقادح ، لأنه لا يبغي المدح ، ولا يترفَّع به ، ولا يتكثَّرُ به ، وإذا استوى في حقه المادح والقادح فقد وفّق ، لأنه إنما نظر إلى الله – جل وعلا – ، والعاقبة للمتقين ، قال – جل وعلا – :

﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [آل عمران :120] .

فمهما كادك عدوك وأنت مخلصٌ لله ، باغٍ ما عند الله ، لا تلتفت إلى مخلوقٍ : أظهرك الله – جل وعلا– .

فيجب علينا – معشر الأحبة – أن نراعي هذا الأصل ؛ أصل الإخلاص في الأعمال والأقوال ، وهذا بابٌ عظيم ، يُدخَل فيه على العبد ، يَدخل الشيطان منه على العبد دخولاً كثيراً ، وكثيرٌ من الناس يُؤثر الآجل على العاجل ؛ لا يريد أن يناله في الدنيا شيء ، ولا أن يُجرحَ بشيء ، وهذا محالٌ ، لم يسلم منه الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ، الله – جل وعلا – أمرنا بأن نستقيم كما أمرنا – سبحانه – .

أسأل الله– سبحانه وتعالى– أن يوفقنا وإياكم جميعاً لمرضاته ، وأن يسلك بنا وبكم جميعاً سبيل طاعته ، وأن يُنوِّر قلوبنا وبصائرنا بالحق والهدى ، وأن يرزقنا وإياكم الفقه في الدين ، والبصيرة فيه ، والثبات عليه حتى نلقاه ، إنه جوادٌ كريم .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين .

---

[1] رواه مسلم في "صحيحه" (برقم 2985) .